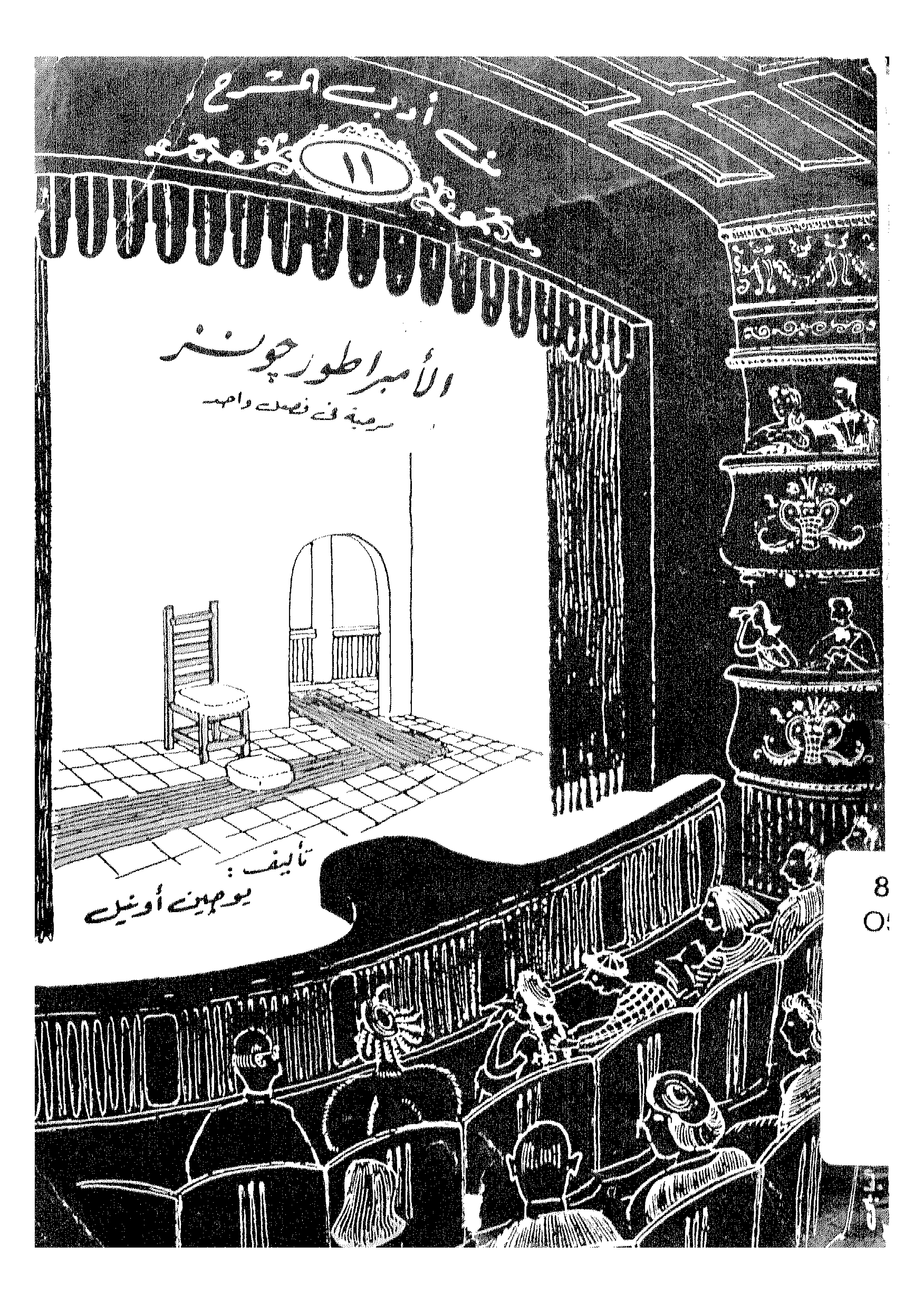

١١
الأمبراطور جونز
مسرحية في فصل واحد
تأليف :
يوجين أونيل

من أدب المسرح

الامبراطور جونز

نشر هذا الكتاب بالاشتراك

مع

مؤسســـة فرانكلين للطباعة والنشر

القاهرة — نيويورك

الامبراطور چونز

مسرحية فى ثمانية مناظر

تأليف

يوچين أونيل

ترجمة وتقديم

أنيس منصور

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

هـــذه المسرحية

« ان أسرع حيوان ينقلك الى الكمال : الألم . »

اكهـارت

لخص « يوجين أونيل » حياته كلها ، وحياة الفنانين الكبار فى كلمات قليلة عندما قال : « لقد أحببت وعربدت ، وكسبت وخسرت ، وغنيت وبكيت . » .

فقد ولد هذا الكاتب الكبير على خشبة المسرح ، وكان المسرح على أيامه متحركا يركب العربات وتجره الخيول . وكان الطفل يجرى وراء أبيه وأمه من بلد الى بلد . وكان أبوه يقطع أمريكا من الشرق الى الغرب فى أدوار المسرحيات الكبرى لشكسبير . وفجأة عدل الأب من المسرح التقليدى وظهر فى المسرحيات الرومانتيكية . هكذا انتقل دون مقدمات .. وقد ورث الابن عن أبيه هذه الصنعة . كان ينتقل من بلد الى بلد . ومن قارة الى قارة . ومن مهنة الى مهنة . كأن الابن قد عاهد نفسه على أن يجعل حياته كلها مسرحا ، وأن يجعل هذا المسرح متحركا له عجلات ، أو يمشى على المسرح .

والحقيقة أن « يوجين أونيل » كان فى حالة قلق شديد . فلم يكن يعرف ماذا يريد ، ولا ماذا يراد منه ، وله ، وبه . انه هارب من أن يسأل نفسه : وماذا بعد ؟

لقد كان يسمع صوتا داخليا ، كذلك الصوت الذى كان يستمع اليه الفيلسوف سقراط .. وقد أعلن سـقراط أن هذا الصوت هو

صوت أحدالجن .. وعرفنا فيما بعد أنهذا الصوت هو صوت الضمير ، أو نداء الفن . وكان « يوجين أونيل » يسمع هذا الصوت ويهرب منه بأن يحشر نفسه بين الناس . وأن يشجع الناس على أن يتكلموا بصوت عال حتى « يشوشوا » على هذا الصوت الداخلى فلا يسمعه .

ولكن الكاتب الكبير بدأ يرى بوضوح أنه يجب عليه أن يعمل شيئا . أن يكتب ، فهذا هو الشيء الوحيد الذى يستطيع أن يعمله ، وأن يحسه : الكتابة . ان استعداده كله هو أن يكتب للمسرح الذى ولد عليه ، وعاش فيه ، وعاش له بعد ذلك .

ومن رأيه ــ فيما بعد ــ أن الفنان لا يمكن أن يحقق عملا كبيرا الا اذا كانت لديه فكرة كبيرة ، فالفكرة الكبيرة هى أم العمل الكبير .

أما الفكرة فعنده . وأما المشكلة فهى كيف يكتبها ! وأى اطار يختاره لها .

أما الاطار فقد اختاره : المسرحية .

ولا يكفى أن تكون لديك الفكرة والاطار ، وانما يجب أن تكون هناك ينابيع أعمق لهذه الفكرة . ينابيع تصدر عنها كل هذه الأفكار الكبيرة .

وقد وضع « يوجين أونيل » اصبعه على الينبوع الكبير لكل أفكار الفلسفة فيما بعد . فهو يقول : ان الناس مشغولون ببحث العلاقة بين الناس بعضهم ببعض . غير أننى أعتقد أن مهمة الفنان هى أن يبحث هذه العلاقة التى بين الانسان وبين الله .. بين الانسان وبين كل ما هو أقوى منه . فهنا تكون رسالة الفنان .

اذن فمهمة الفنان هى أن يدخل فى الصراع بين الانسان وربه ، بين الانسان ومصيره ، بين الانسان والقدر الطاغى ..

أو بعبارة أخرى : مهمة الفنان أن يصور أنواع العذاب المختلفة . كعذاب « بروميثيوس » مثلا ، ذلك البطل الذى سرق النار من موكب

الشمس وأعطاها للانســان . فالنار هي مصدر الحياة على الأرض ، ولولا النار ما استطاع الانسان أن يقاوم الآلهة وأن يتطاول اليهم . فماذا كانت النتيجة ؟

حكمت عليه الآلهة بالعذاب . ربطوه الى حجر ، وجعلوا نسرا كبيرا يأكل قلبه ، وكلما تلاشى القلب ، نبت قلب جديد . فيعود النسر يأكله ، والى الأبد . !

ومهمة الفنان أن يصور لنا عذابا آخر كعذاب البطل « سيزيف » ذلك الذى حكمت عليه الآلهة بأن يدفع أمامه حجرا ضخما ،يدفعه الى قمة الجبل ، وكلما بلغ القمة ، انحدر الحجر الى السفح ، فيعود البطل يدفعه الى أعلى . فيسقط . والى الأبد يعلو ويهبط . والبطل يعلم أنه لا أمل في النجاة . ولكنه لايريد أن يستسلم لمصيره ولا أن يستسلم لقدره ، وانما يريد أن يكون أقوى من المصير والقدر معا ..

ومهمة الفنان أيضا أن يصور عذاب « تنتالوس » الذى حكمت عليه الآلهة بأن يقف تحت أشعة الشمس المحرقة وسط بحيرة من الماء العذب . وكلما ارتفع الماء الى عنقه ، انحنى « تنتالوس » يريد أن يشرب ، فينحسر الماء الى قدميه ويرفع رأسه . فيعلو الماء الى عنقه ، ويحاول أن يرتوى ويهبط الماء ويعلو ويهبط والى الأبد .

وعشرات الألوف من صور العذاب ، عذاب الانسان وهو يصارع ما هو أقوى منه ، ما هو أكبر منه ، ما هو أبقى منه . هذه هي مهمة الفنــان . فليست مهمته هى التنقل بين النــاس ، ولكن السفر بين الكواكب ، كواكب المعانى الكبيرة .

ولكن « يوجين أونيل » لم يجد الوقت لكى يبلور أفكاره ، ولا أن يضعها فى القوالب التى يريدها ، لأنه ينتقل هو الآخر من مكان الى مكان . فهو كالحجر المتحرك لا ينمو عليه العشب .. الى أن مرض .

وكان المرض عزلة اجبارية . وفى هذه العزلة اتخذ قرارا ، لقد

هدأ كل شيء حوله . لقد تحول سريره الى سفينة . والسفينة جف من تحتها كل شيء ، لم يعد تحتها بحر يهتز . وانما البحر قد أصبح فوقها ، فهو يهتز ويجيش بالأمواج والعواصف . لقد لزم الفراش ستة أشهر . ومن هذه العزلة الروحية خرجت ٣٠ مسرحية للكاتب الكبير .

فهذه العزلة كما يقول الشاعر « ريلكه » تشبه سماء صافية ، لم تلبث السحب أن ملأتها . السحب جاءت اليها من بلاد بعيدة .. عبر الوديان والجبال والأنهار والمدن . وتكاثرت السحب وتكاثفت وأرعدت وأبرقت ونزل المطر .

وفي هذه العزلة أو فيهذا المرض قرر « يوجين أونيل » أن يكتب للمسرح ، ووفى بما وعد . وفازت أعماله الفنية بثلاث جوائز بولتزر الأدبية ، وفازت بجائزة نوبل سنة ١٩٣٦ .

ويعلق النقاد أهمية كبرى على هـذه العزلة المرضية في حيـاة « يوجين أونيل » ويرون أن الفنان يجب أن يصاب بالمرض ولو مرة في حياته ، فالمرض هو المهر الذى يدفعـه الفنان لعبقريته . حتى « أندريه جيد » أعلن في « يومياته » (ج . ٢ ص ٩٨) أن فيالنفس الانسانية أبوابا عديدة لا يفتحها الا المرض وحده ، وان كل الذين قابلهم في حياته ولم يشكوا من أي مرض كانوا جماعة من الحمقى ، فالمرض هو بداية الطريق الى شيء أكبر وأروع .

ولكن مرض العباقرة . كالنار من شدتها تضيء وترهف الحس ، وتشحذ العقل . ولم يعرف « يوجين أونيل » الصـحة طول حياته . بل انه كان يعرف جيدا الطريق الى مختلف الأمراض . كان يعرفهـا بالزواج الكثير ، وكان يعرفها بالخمر التى لا تفـارق فمه ، وكان يعرفها بوساوس الفنان الكبير .

* * *

ومسرحية « الامبراطور جونز » هذه هي نموذج لأفكار المؤلف .

نموذج لشخصية ليست غريبة . وانما هى شخصية الكثيرين جدا من الناس ، فى قوتهم وضعفهم .. فى صراعهم مع أنفسهم ومع غيرهم ، ومع ما هو أقوى وأكبر ..

فنحن أمام طاغيـــة ، أمام امبراطور يصارع نفسه ، ويصارع الخوف ، والشعب . اننا أمام طاغية يستغل طيبة الناس وسذاجتهم ، فيجمع الأموال ويهرب بها فى أى وقت . ولقـــد تسلح الامبراطور بذكائه وأكاذيبه . وجعل من الأكاذيب سلاحا يحميه من الناس ، من المظلومين . فهو يروى لهم كيف أنه قتل البيض فى أمريكا ، وهــو زنجى .. وكيف أنه يحمل معه قذيفة « خرطوشة » مسحورة صنعها من الفضة هى وحدها التى تستطيع أن تقضى عليه . أما « الخراطيش » المصنوعة من الرصاص فهى لا تصيبه . وعندما يحس بالخطر فانه سيقتل نفسه ، فليس هناك أحد أقوى منه ، ولا أحد يصل الى شرف قتله الا هو . وصدقه الناس الطيبون !

وبهذا السحر والكذب ، راح يتجول بينهم آمنا منهم على نفسه وعلى ماله وسلطانه .

ويبدو أن القذائف « الخراطيش » الفضية لها أصل عند البدائيين . فهناك قصيدة للشاعر « هيبلر بيلوك » اسمها « وحيد القرن » يقول فيها : لا نقتله « بخرطوش » من الرصاص ، « فخرطوش » الرصاص يلين فى جلده ، أما « الخرطوش » من فضـــة ، فهو الذى يقتـله لا محالة .

وكذلك فعل الامبراطور ، فسلح نفســه بخرطوشة من الفضة ، واحتمله النـــاس خوفا منه . ولكن قدرة الناس على احتمال الظلم والطغيان لها نهاية . فهم لا يستطيعون أن يحملوه على رؤوسهم الى الأبد ، مهما ظلم ومهما طغى ، فثاروا عليه . وكانت ثورتهم شـــيئا عجيبا : لقد تركوا له البلاد ، تركوها ، هجروها ، ذهبوا الى الغابة .

لم يرفع واحد منهم سلاحا فى وجهه ، ولا حاول أن يقتله وهو نائم . لم يضع له السم فى الطعام . انما تركوه حاكما امبراطورا مع وقف التنفيذ . حاكما بلا محكومين ، امبراطورا بلا دولة ، ظالما بلا مظلومين .

لقد تركوا الامبراطور على عرش يدق الجرس فلا يرد أحد . ويدرك الامبراطور أن ساعة الخطر قد دنت ، وأنه أصبح وحده . فليس أمامه الا الهرب . وطريق الهرب هو الغابة ، وفى الغابة تجمع الشعب يدق الطبول المفزعة فلها صوت كأنه ملايين القلوب . وهذه القلوب لها وجيب وهدير كأنها فى أحشاء حيوان رهيب . وبدأ الامبراطور يدرك الخطر ، وجعل يرتجف ، فالطريق الى النجاة صعب صعب .. وهو لا يعرف أين يذهب ولا كيف يذهب . ولكن غروره يطفو فوق خوفه فيقول لنفسه : سآتى بهم جميعا راكعين ساجدين ، هؤلاء الرعاع !

ويقطع الطريق ويبحث عن أمواله التى أخفاها فى طرف الغابة فلا يجدها فيبكى ، ويعتمد على مسدسه ، ولكن دقات الطبول تتعالى وترن فى أذنيه وفى قلبه ، وتزداد رجفته ، ولكن الرصاصة الفضية تلمع أمامه لأنها هى وحدها التى تخيف الزنوج . وتطارده الأشباح فيطلق عليها الرصاص . ويتوالى اطلاق الرصاص على الأشباح ولكن دقات الطبول تدنو وتعلو وتسرع .

ويتحول ظلام الغابة الى شاشة ، يتحرك فوقها فيلم حياته ، حياته المليئة بالقتل والخداع والكذب . وترتفع يداه الى السماء يطلب الرحمة والمغفرة . ولكن دقات الطبول تشيعه ، تشيعه الى الندم واليأس . ولا يزال الامبراطور يتجرد من سلطانه ومن ملابسه حتى يصبح « جونز » فقط ، جونز الزنجى الهارب من الزنوج ، جونز الذى نفد رصاصه ، بما فيه الرصاصة الفضية .

وكأن الغابة هى « جزيرة المغنطيس » التى تتحدث عنها ألف

ليلة وليلة » فقـد كانت هذه الجزيرة تجذب السفن اليها ، تسحب منها المسامير وقطع الحديد . ولا تترك فيها الا الألواح الخشبية طافية بالقرب منها . أما الركاب فيهلكون . وكذلك فعلت بهذا الامبراطور . جردته من قوته ، وارادته ، وتاجه ، وشعبه ، وملابسه . وألقت به غارقا فى عرقه . ثم طافيا كالأسماك الميتة !

لقد مات ..

ولا ندرى كيف مات . وقد حرص المؤلف على أن يجعل هذه النهاية غامضة . فلا ندرى هل مات من الخوف ؟ هل مات من التعب ؟ هل قتله الزنوج بنفس القذائف « الخرطوش » المصنوع من الفضة ؟ ان هؤلاء المساكين قد صدقوا أن « الخرطوش » المصنوع من الفضة له سحر . ولم يعرف هؤلاء الطيبون أنهم قتلوه برصاص آخر ، برصاص الخوف والفزع . برصاص التخلى عنه . وتركه يموت جوعا وعطشا . جوعا الى السلطان ، وعطشا الى المال !

مات الامبراطور « جونز » . وكان يجب أن يموت ، لأنه كره ولم يحب ، ولأنه خسر ولم يكسب ، ولأنه غنى أولا ، فكان يجب أن يبكى أخيرا . ولأنه توهم أنه يستطيع أن يقضى على شـعب ، والشعوب لا تموت ، وانما الأفراد فقط ، والطغـاة فى مقدمتهم . فمات لأنه لا يستحق أن يولد . لأنه قرر أن يعيش لنفسه ! .

أنيس منصور

شخصيات المسرحية

بروتوس جونز	:	الامبراطور
هنرى سميزرز	:	تاجر انجليزى
عجــوز زنجيـــة		
ليـــم	:	شيخ قبيلة زنجى
جنود من الزنوج	:	

مخاوف على شـــكل أشباح ، جيف ، زنوج متهمــون ، حارس السـجن، مزارعون ، سمسار، عبيد ،ساحر من الكونغو، تمساح مقدس

« تجرى حوادث هذه المسرحية فى احدى جزر الهند الغربية التى لم يتم تحريرها بعـــد على أيدى البحارة البيض . نظام الحـكومة المحلية امبراطورية مؤقتة » .

المنـــاظر

المنظر الأول	:	قصر الامبراطور بعد الظهر .
المنظر الثانى	:	حافة غابة عظيمة عند الغروب .
المنظر الثالث	:	فى الغـــابة ليلا .
المنظر الرابع	:	فى الغـــابة ليلا .
المنظر الخامس	:	فى الغـــابة ليلا .
المنظر السادس	:	فى الغـــابة ليلا .
المنظر السابع	:	فى الغـــابة ليلا .
المنظر الثامن	:	نفس المنظر الثانى . حافة الغابة عند الفجر .

المنظر الأول

غرفة الاستقبال فى قصر الامبراطور : واسعة ، سقفها مرتفع ، وجدرانها بيضاء ، عارية ، وأرضها من الحجر الأبيض فى المؤخرة وفى منتصفها الى اليسار يوجد قبو يفضى الى باب له أعمدة بيضاء . ومن الواضح أن القصر قد أقيم على ربوة ، وذلك لأننا لا نرى شيئا من هذا الباب سوى تلال مرتفعة ، بعيدة، لها قمم قد توجت بالنخيل الكثيفة . وعلى الحائط الايمن وفى منتصفه يوجد باب مقوس يؤدى الىالجناح الخاص بالامبراطور وحاشيته . والغرفة عارية من الاثاث عدا كرسى ضخم من الخشب البدائى والكرسى فى منتصف الغرفة وظهره الى مؤخرة المسرح، ومن الواضح ان هذا الكرسى هو كرسى العرش للامبراطور ، وهو مطلى باللون القرمزى الصارخ وعليه توجد وسادة برتقالية ، وتوجد وسادة أخرى القيت على الأرض عند قدمى الجالس على العرش . ويوجد بساط يمتد من تحت قدميه حتى بابى الغرفة .

الوقت : بعد الظهيرة ، ولا تزال أشعة الشمس الذهبية تلهب الجو ، وفى الهواء حرارة ثقيلة .

وعندما يرتفع الستار تنسحب زنجية بحذر من المدخل الى اليمين ، انها عجوز جدا ، ارتدت ملابس الهنود الحمر ، وهى حافية القدمين ،وقد غطت رأسها بمنديل من تحته تبدو شعراتها البيضاء ، وعلى كتفها وضعت عصا تعلق من طرفها لفافة من القماش ..

وتبدو مترددة عند الباب وتتلفت وراءها فى فزع شديد كأنها تخاف ان يكتشفها احـد ، ثم تنسحب الى الداخل فى هدوء وبدون ضجة نحو الباب الثانى فى المؤخرة . وفى هذه اللحظة يظهر سيمزرز وراء الباب .

وسيمزرز هذا طويل ، أحدب الكتفين ، فى الأربعين من عمره ، أصلع ، وله عنق طويل . وقـد لوحت حرارة الجو وجهه ذا الملامح الحادة فصار أصفـر سقيما كما صبغت الخمور المحلية أنفه المحدب بحمرة شديدة ، وقد احمرت أجفان عينيه الزرقاوين فبدا كالنمس . ولكن تعبيرات وجهه تدل على خسة ، وعلى حقارة لا تحفظ فيها ، وجبن ، وشر ، وقـد ارتدى ملابس الصيد البيضاء ، القذرة ، وعلى رأسه خوذة بيضاء ، وله حذاء ذو مهماز ، وحول خصره التف حزام به طلقات « خرطوش » ومسدس ، وفى يده سوط . وهو ينظر الى المرآة ، ويقف ليراقبها فى شك ، ثم يفكر بعض الوقت ، ويخطو بسرعة على أطراف أصابعه الى داخل الغرفة . والمرأة تتلفت وراءها هى الأخرى ، لم تشعر بوجوده الا متأخرا ، وعندما تراه ، يقفز سميزرز نحوها ويمسك بها من كتفيها ، وتقاومه محاولة الفرار بقوة وفى صمت .

سميزرز : (قد ضيق الخناق عليها ــ وبقسوة) لا تخافى لن يحدث لك شيء يا سيدتى ، لن تهربى منى فقد رأيتك .

العجوز : (بعد أن يئست من مقاومتها ، استسلمت الى الفزع ، وانهارت على الأرض مقبلة رجليه) لا تقل له ، لا تقل له يا سيدى !

سميزرز : (بلهفة شديدة) أقول لمن؟ (وباحتقار) تقصدين صاحب الجلالة .. صاحب الطلعة البهية . ماهى الحكاية ؟ ولمـاذا تحاولين الهرب ؟ أعتقد أنك سرقت شيئا (ويدق حزمة القماش بسوطه ليعرف ما تحتويه) .

العجوز : (تهز رأسها بقوة) لا .. أنا لا أسرق .

سميزرز : كذابة . اذن ماذا حدث ؟ لابد أنه وقع شيء غريب ، اننى قد أحسست بذلك عندما نهضت من النوم اليوم . فأنتم أيها السود تتهيأون لكارثة ، فهذا القصر يشبه مقبرة دامية . أين بقية الزنوج ؟ (والعجوز ما تزال صامتة .. بينما يرفع سميزرز سوطه مهددا) انت لا تريدين أن تقولى شيئا ؟! سأضطرك أن تقولى لأعرف حقيقة هذا الأمر .

العجوز : (فى خوف) سأقول لك يا سيدى .. لا تضربنى .. لقد ذهبوا .. كلهم ذهبوا (وأشارت بيدها ناحية التلال) .

سميزرز : هربوا الى التلال ؟

العجوز : نعم يا سيدى . أما الامبراطور .. ذلك الأب العظيم (وتسجد على الأرض فى حركة ميكانيكية) عندما كان نائما بعد أن تناول الطعام .. هربوا .. كلهم هربوا .. أما أنا العجوز فقد تركونى وحدى ، والآن ألحق بهم .

سميزرز : (وقد بدت عليه الدهشة والارتياح) هذه اذن هى الخدمة حسنا ، سأعرف جيدا ماذا يجرى هناك .. سألحق بهؤلاء الهاربين .. وستدق طبولهم فى التلال .. (وبمنتهى الشماتة) اننى سعيد جدا لأن أرى جلالته ضالا !! وكل ما أتمناه هو أن أكون على مقربة منه عندما يطلقون عليه الرصاص . (فجأة) أما يزال هنا ؟ .

العجوز : انه نائم .

سميزرز : سيكتشف كل شيء عندما يصحو .. انه من الخبث بحيث يعرف أن الوقت المناسب قد حل (يتجه الى الباب الأيمن ويضع أصابعه فى فمه ويصفر .. والعجوز تنهض وتنطلق

من الباب الآخر ، ووراءها ينطلق سـميزرز ومسدسه بيده) قفى ! والا أطلقت عليك الرصـاص . (ويقف بلا مبالاة) حاولى أن تتحركى اذن أيتها السوداء الخائفة ! (ويقف الى الباب متطلعا اليها . ويدخل الامبراطور من الجانب الأيمن طويل القامة ، قويا ، فى منتصف العمر ، ملامحه زنجية تماما .. غير أن هناك شيئا متميزا فى وجهه اذ تبدو عليـه الصرامة ، وقوة الارادة ، والثقة بالنفس توحى باحترامه . عينـاه لامعتـان فيهما ذكاء وخبث .. وتبدو عليه القسوة والوسوسة .. ويرتدى بذلة زرقاء فاتحة ، بهـا أزرار من النحاس ، وعلى كتفيه نياشين ذهبية ، وفى « ياقته » وأكمامه ، أما « بنطلونه » فهو أحمر فاتح وعليـه شرائط زرقاء وأحذيته طويلة لها مهاميز من النحاس ، وله حزام تدلى منه مسدس ضخم ذو مقبض ممتلىء باللؤلؤ) .

جـونز : (دون أن يرى أحدا .. ولكن يبدو عليه الاضطراب وآثار النوم .. ويصرخ) من الذى يجرؤ على الصفير هكذا فى قصرى ؟! من الذى يجرؤ على ايقاظ الامبراطور ؟! سأنتقم منكم أيها الزنوج ! .

سميزرز : (يظهر شبه خائف وشـبه متحد) لقد كنت أنا الذى أصفر لك (جونز ينظر اليه بغضب) عندى أخبار لك !

جـونز : (يتظـاهر برقة لا تخفى احتقاره الشديد لهذا الرجل الأبيض) اذن أنت أيها المستر سميزرز (ويجلس على العرش بعظمة) ما أخبارك ؟ حدثنى .

سميزرز : (ويقترب منه فى شماتة) ألم تلاحظ شيئا غريبا اليوم ؟

جـونز : (ببرود) غريب ؟! لا . لم ألاحظ شيئا غريبا .

سميزرز : اذن أنت لست ذلك الثعلب الخبيث الذى كنت أظنه !
أين حاشيتك ؟ (بسخرية) القـادة ، مجلس الوزراء ،
أين هم ؟!

جـونز : (بدون اكتراث) فيالحظة التى أغلقفيها عينى يذهبون
الى المدينة يشربون ويتسامرون . (فى سخرية) كيف
لا تعرف هذا ؟! ألست تعيش معهم كل يوم ؟

سميزرز : (يتظاهر بعدم الاكتراث ، ويغمز بعينيه) هذا جانب من
عملى كل يوم .

جـونز : (باحتقار) عملك ! .

سميزرز : (وقد غضب) وأنت ألم تكن سعيدا يوم جئت الى هذه
الجزيرة لأول مرة .. ولم تكن لك أية قوة ولا سلطان فى
تلك الأيام ! .

جـونز : (واضعا يده على مسدسه ، ومهددا) تكلم بأدب أيهـا
الرجـل الأبيض !! كن مؤدبا !! ألا تسـمعنى !! اننى
السيد هنا اذا كنت قد نسيت !! (وكاد التاجر أن يروى
له ما حدث لولا أن بريقـا فى عين الامبراطور قد جعله
يتخاذل) .

سميزرز : (فى جبن) أيها السيد . لا تستخدم سلاحك ! .

جـونز : (فى تواضع) قبلت اعتذارك . (ويرفع يده عن المسدس)
لا فائدة من نبش الماضى فما فات مات .. لقـد كنت فى
الماضى شيئا .. واليوم أنا شىء آخر . ولا شأن لى بعملك
هذا .. مع أننى قد فعلت الكثير من أجل عملك الحقير ..
فى ذلك الوقت كانت لى قيمة عندك ، أما الآن ..

سميزرز : حسـنا . أنا الذى شجعتك فى البداية .. أليس هذا
صحيحا ؟ عندما لم يكن احـد بجانبك .. لم أكن خائفا

عندما استأجرتك كالآخرين .. ولم أحدث أحدا عن قصة فرارك من السجن فى الولايات المتحدة .

جونز : على كل حال لاعذر لك فى أن تنظر الى هكذا باحتقار .. فانت أيضا قد دخلت السجن أكثر من مرة !

سميزرز : (فى غضب) هذه أكذوبة (وهو يحاول أن يتجاهلها باحتقار) من الذى قال لك هذه القصة الخرافية ؟ .

جونز : هناك أشياء كثيرة لست فى حاجة الى من يقولها لى .. اننى أراها فى عيون الناس . (لحظة تأمل) صحيح . لقد ساعدتنى فى البداية .. ولم يمض وقت طويل على ذلك اليوم عندما أتينا بهؤلاء الحمقى من الزنوج كما أردت .. (وفى غرور وكبرياء) من عامل الى امبراطور فى سنتين ! أليس هذا شيئا عظيما !

سميزرز : (فى اهتمام) أنا أراهنك أنك أخفيت أموالك فى خزانة فى مكان ما .

جونز : (راضيا) طبعا ! عندى أموال فى أحد المصارف «البنوك» الأجنبية حيث لا يستطيع أن يخرجها أحد سواى مهما حدث .. فأنا لا أتمسك بمركز الامبراطور من أجل المجد ! طبعا لا ، بكل تأكيد .. فالمجد والأبهة جانب من خطتى لكى أخدع هؤلاء الزنوج .. انهم يريدون الحفلات الضخمة فى مقابل أموالهم . فأقمت لهم الحفلات واستوليت منهم على المال .. (موبخا) ولكن يجب ألا تقف ضدى ياسميزرز .. لقد دفعت لك قيمة أتعابك أكثر من مرة .. ألم أكن حاميا لك ضد أعمالك القذرة التى قمت بها هنا فى وضح النهار ؟! طبعا لأحميك .. أغمضت عينى عنك .. أصدرت قوانين للتستر عليك .

سميزرز : (وهو مغتاظ) لا تؤاخذنى اذا قلت لك أنا أيضا انك اشتركت معى فى هذا العمل .. انظر الى الضرائب التى فرضتها عليهم !! لقد استنزفت دماءهم !!

جـونز : لا يزال فيهم رمق .. وأنا لا أزال أنا هنا ..

سميزرز : (يبتسم للأخبار التى لا يعرفهـا الامبراطور) لم يبق فيهم رمق الآن .. (مغيرا الموضوع) أما فيما يتعلق بأننى خرجت على القانون .. فقد فعلت ذلك مثلى !

جـونز : القـانون لا ينطبق عـلى !! ألا تسـمع ما أقوله لك يا سميزرز ؟ أن هناك لصوصا صغارا مثلك ، ولصوصا كبارا مثلى .. السرقات الصغيرة يدخل أصحابها السجن آجلا أو عاجلا .. أما السرقات الكبيرة فانها تجعل منك امبراطورا وتضعك فى قائمة المجد ! ولقد تعلمت ذلك خلال العشر السنوات التى عملت فيها خادما فى عربات البولمان وأنا أستمع الى البيض وهم يتحدثون .. وعندما أتيحت لى الفرصة .. قفزت الى أعلى فى سنتين .. وأصبحت امبراطورا !

سميزرز : (عاجزا عن اخفاء اعجابه الحقيقى به) نعم . لقد أفلحت فى استغلال هذه الخدع الحقيرة .. اننى لم أر فى حياتى زنجيا سعيد الحظ مثلك ! صدقنى !!

جـونز : (بقسوة) حظ ؟ ماذا تقصد بالحظ ؟

سميزرز : تلك القذيفة « الخرطوشة » الفضية التى جعلت السود يقفون وراءك يوم الثورة . أليس كذلك ؟

جـونز : (ضاحكا) تلك « الخرطوشة » الفضية . لقد جلبت لى الحظ .. ولكن أنا الذى صنعت الحظ ! وأنا الذى طرحت الزهر .. لقد حاول ليم الزنجى المجرم الذى استأجروه

لقتلى أن يطلق على الرصاص من مسافة عشر أقدام ..
فأخطأنى الرصاص !! فأرديته قتيلا !

سميزرز : أنت تقول ان لديك تعويذة تحميك من كل الرصاص ..
لقـــد قلت لهم انك من القوة بحيث لا تقتلك الا قذيفة
« خرطوشة » من الفضـــة ! أليس هذا هو السبب ،
ومصدر حظك السعيد ؟

جــونز : (باعتزاز) عندى عقل أستخدمه بسرعة .. ليس حظا .

سميزرز : أنت تعلم أنه ليس من الصعب عليهم أن يحصلوا على
طلقة « خرطوشة » فضية .. ولكن الحظ هو الذى ساعدك
أيضا

جــونز : (ضاحكا) وكانت النتيجة أن جاء هؤلاء الزنوج الحمقى
يركعون عند قدمى كأننى احدى المعجزات التى يرويها
الكتاب المقدس . يا الهى ! ومنذ ذلك اليوم ، وأنا أطعمهم
من يدى ، وألهب ظهورهم بالسياط .. فيجرون أمامى !

سميزرز : انها خدعة أمريكية !!

جــونز : الكلام الكبير هو الذى يجعل الرجل كبيرا ما دام يقنع به
الآخرون .. فأنا أجوف ألفاظى عندما ينقصنى المنطق ..
وأنا أعرف خداع الناس .. اعرف ذلك جيدا .. وهذا يكفى
للسيطرة عليهم .. ولست فى حاجة لأن أعرف لغتهم ،
ولا أن أعلمهم اللغـــة الانجليزية لكى أتحدث معهم . ألم
أنجح فى ذلك ؟ فأنت لم تتعلم كلمة واحدة مما يقولون ..
مع السنوات العشر التى عشتها هنا .. فقد كنت مشغولا
فى ابتزاز أموالهم ووضعها فى جيبك !! فأنت أعجز من
أن تقوم بأى مجهود .

سميزرز : (وقد احمر وجهـــه) دعك منى .. أريد أن أعرف ما هى

قصة القـــذيفة « الخرطوشة » الفضـــية التى صنعتها لنفسك ؟ .

جـونز : انها ضمن خدعتى الكبرى !! لقد أخبرتهم أننى صنعت « خرطوشة » فضية خاصـــة بى .. وأخبرتهم أنه عندما يجىء الوقت المناسب ســـأقتل نفسى .. وقلت لهم اننى الرجل الوحيد فى العـــالم الذى يستطيع أن يقتلنى .. فلا أمل فى أن يحاولوا قتلى . عندما يستمعون الى .. فانهم يركعون ويسجدون أمامى .. (ضاحكا) قد فعلت ذلك لكى أتمكن من أن أتمشى بين هؤلاء دون أن يطعننى زنجى حاقد من الخلف ، أو من وراء الأشجار .

سميزرز : (مندهشا) اذن ، هل صحيح أنك صنعتها ؟

جـونز : بكل تأكيد .. ها هى ذى .. (ويسحب المسدس ويفتحه ويخرج «الخرطوشة» الفضية منه) خمس «خرطوشات» من الرصاص ، والسادســـة من الفضة .. ألا ترى أنها لامعة ، جميلة ؟ (ينظر اليها باعجاب كأنه مفتون بها) .

سميزرز : دعنى أرها (ويمد يده نحوها)

جـونز : (بجفاف) أبعـــد يديك عنها أيهـــا الرجل الأبيض ... (ويضعها فى مكانها من المسدس ، ثم يعلق المسدس فى الحزام) .

سميزرز : يا الهى ! هل تظن أننى أريد أن أسرقها ؟!!

جـونز : لا ، ليس هذا .. أعرف أنك تخاف أن تسرقنى .. ولكننى لا أسمح لأى انسان أن يلمسها .

سميزرز : (فى غيظ) انها ساحرة ! انها فاتنة ! انك فى حاجة الى كل تعويذة وخدعة وقتا طويلا !!

جونز : أنا فى حاجة الى ستة أشهر فقط قبل أن يمل الزنوج هذه الخدعة .. وعندما تبدو المتاعب سأهرب من هذه البلاد .

سميزرز : أوه !! لقد رتبت كل شيء . أليس كذلك ؟

جونز : لست أبله !! أنا أعلم أن عمر هذا الامبراطور قصير !! هل تتصور أن فى نيتى أن أحتفظ بهذا المنصب مدى الحياة !! طبعا لا .. فما قيمة المال الذى أجمعه اذا بقيت طول الوقت فى هذه البلاد الفقيرة !! وعندما أرى هؤلاء الزنوج يثورون ضدى .. وعندى كل المال ، فاننى أستقيل فورا .

سميزرز : وأين تذهب ؟

جونز : ليس هذا من شأنك .

سميزرز : أقسم لك أنك لن تستطيع الذهاب الى الولايات المتحدة .

جونز : (مرتابا) ولم لا ؟ (وضاحكا) لعلك تقصد حكاية هربى من السجن .. هذه قصة لا أساس لها من الصحة .

سميزرز : (مرتابا) أوه طبعا !!

جونز : (فى حدة) لعلك تريد أن تقول فى نفسك اننى كذاب .

سميزرز : لا .. أبدا .. فليلعنى الله . انما كنت أفكر فى تلك الأكاذيب التى كنت ترويها للزنوج هنا عن قتلك البيض فى الولايات المتحدة .

جونز : (غاضبا) ومن قال انها أكاذيب ؟

سميزرز : لو حدث هذا لكنت الآن فى السجن !! وعلى قدر ما سمعت انه ليس فى استطاعة زنجى أن يقتل رجلا أبيض فى الولايات المتحدة ... انهم يحرقونه فى الزيت . ألا يفعلون ذلك ؟

جـونز : (ببرود) تقصد أن تقول ان القتل يخيفنى !! أريد أن أقول لك اننى ربما قد قتلت أحد البيض فى الولايات المتحدة .. وربما أفعل ذلك هنا .. وكان فى وسعى أن أقتله منذ وقت طويل لولا أنه كان يلزم الاحتراس .

سميزرز : (يحاول أن يغتصب ضـــحكة) أنا أردت أن أداعبك .. ألا تدرك النكتة .. فأنت على حق عندما قلت انك لم تدخل السجن .

جـونز : (بنفس اللهجة وفخورا قليلا) لعلى دخلت السجن على أثر مشاجرة فى لعب النرد استخدمت فيها « أمواس » الحلاقة .. وكان من الممكن أن أسجن عشرين عاما بعـــد وفاة هذا الرجل الملون .. وكان من الممكن أن أتشاجر مرة أخرى مع حارس السجن الذى كان يشرف علينا ونحن نمشى فى الطريق .. وكان من الممكن أن يضربنى بالسوط فأهجم عليه وأحطم رأسه بالجاروف وأرمى السلاسل من رجلى وأنطلق هاربا .. وكان من الممكن أن يحدث هذا كله أو لا يحدث . انها قصة أرويها لك لكى تعرف أننى من ذلك النوع من الرجال الذين اذا تحدثت عنهم بكلمة واحدة .. فسيقضى على سرقاتك فى هذه الأرض حالا .

سميزرز : (خائفا) أتظن أننى أستطيع أن أشى بك ؟ لست أنا !! ألم أكن صديقك دائما ؟

جونز : (وقد بدا عليه الارتياح فجأة) بكل تأكيد . فمن الخير أن تبقى كذلك .

سميزرز : (وقد اســـتعاد خبثــه) ولكى أبين لك أننى صديقك سأروى لك بعض الأنباء التى كنت سأطلعك عليها من قبل .

جـونز : (حائرا) قلها .. قلها بسرعة .. لابد أنها أخبار سيئة لأن الارتياح يبدو على وجهك .

سميزرز : (مهـددا) ربما جاء الوقت لـكى تستقيل ومعـك « الخرطوشة » الفضية (قالها بسخرية شديدة) .

جـونز : (حائرا) ما هذا الذى تقوله ؟ تكلم بوضوح !

سميزرز : ألم تلاحظ أنه لا يوجد اليوم حرس أو خدم فى القصر ؟! اننى لم أجد واحدا منهم !!

جـونز : (باهمال) انهم نائمون فى المدينـة تحت الأشجار .. فعندما أنام ينامون أيضا .. وكل ما أعمله هو أن أدق الجرس فيهرعون الى يوهموننى بأنهم كانوا يقظين طول الوقت .

سميزرز : (مستمرا فى سخريته) اذن دق الجرس الآن ، وسترى ما أقصده !!

جـونز : (متنبها ، ولكن محتفظا بنفس عدم الاكتراث) طبعا سأدق الجرس .. (يمد يده تحت العرش ، ويستخرج جرسـا أحمر اللون ، ويهزه بعنف ويتسمع .. ثم يذهب الى البابين ويدق الجرس .. ويتلفت حوله ..)

سميزرز : (يرقبه بارتياح خبيث .. وبعد لحظة فى سخرية) ان السفينة تغرق .. بينما الجرذان قد هربوا ! .

جـونز : (وفى لحظة غضب يلقى بالجرس فى أحد الأركان) أين ذهبوا .. هؤلاء الزنوج القـذرون ؟ (ثم يلاحظ أن سميزرز يراقبه ويضبط شعوره .. ثم ينفجر ضاحكا) أعترف بأنهم غلبونى هذه المرة !! ألم أقل لك ان أمامى ستة شهور ؟ حسنا ، من الآن غيرت رأيى ... وليس على الا أن أستقيل من منصب الامبراطور حالا .

سميزرز : (باعجاب حقيقى) ولكنك قوى الأعصاب !! لا شك فى هذا ! .

جـونز : لا فائدة من المغالطة .. فعندما أعلم أن الخدعة قد انتهت .. فاننى أودعها دون انتظار طويل .. انهم هربوا جميعا الى التلال .. أليس كذلك ؟ .

سميزرز : جميعا . لم يبق منهم أحد .

جـونز : اذن ، فالثورة قد نشبت ، وليس على الامبراطور الا أن يبحث عن طريق للهرب (ويتجه نحو الباب) .

سميزرز : لعلك تبحث عن حصانك .. لن تجد حصانا واحدا .. لقد كانت الخيل أول ما سرقوه .. وكذلك لقد سرقوا حصانى أنا أيضا هذا الصباح .. وهـذا هو الذى جعل الشك يتسرب الى نفسى .

جـونز : (وقد انزعج لحظة وبدأ يحك جبهته وبفلسفة) اذن يجب أن نعمل شـيئا قبل فوات الأوان .. (ويخرج ساعة ذهبية من جيبه) الساعة الثالثـة والنصف ، الغروب حوالى السادسة والنصف .. (ويعيد الساعة الى جيبه فى ثقة تامة) لا يزال أمامى متسع من الوقت ..

سميزرز : لا تكن هكذا واثقا بنفسك .. انهم سيلاحقونك بجنون .. ان عدوك القديم ليم وراء هذه المؤامرة .. وهو يكرهك كراهية شديدة .. انه على استعداد لأن يمتنع عن الطعام لكى يطاردك أينما ذهبت .

جـونز : (باحتقار) هذا الزنجى الأبله .. التافه .. هل تظن أننى أخافه ؟ لقد أوقعته على رأسـه أكثر من مرة أمامى .. وسأعملها مرة أخرى اذا اعترض طريقى .. وفى هذه المرة سأقتله بكل تأكيد !

سميزرز : عليك أن تخترق الغابة الكبيرة .. وهم يعرفونهـــا جيدا ككلاب الصيد .. أما أنت فلا تستطيع اختراقهـــا حتى لو كنت تعرف كل مســـــالكها ! حتى فى اثنتى عشرة ساعة !!

جـونز : (باحتقار شديد) اسمع أيها الرجل الأبيض ! هل تظن أننى قد ولدت أبله ؟ يجب أن تؤمن أن لدى عقلا .. ألا ترى أننى قد رسمت كل شيء ، واستفدت من كل فرصة ؟ لقد ذهبت الى هذه الغابة متظاهرا بأننى أصطاد .. فعرفت مسالكها ، أعاليها وأسافلها كأننى أقرؤها فى كتاب .. اننى أستطيع أن أهتدى الى طريقى فيهـــا وأنا مغمض العينين !! (بازدراء شديد) هل تظن أن هؤلاء الزنوج الجهلاء ، الذين لا عقـــل لهم والذين لا يعرفون حتى أسماءهم فى استطاعتهم أن يلحقوا ببروتوس جونز ؟؟ لا أعتقد ذلك أبدا !! أيها الرجل سأخيب ظنهم .. سأعبر هذه الغابة .. وغدا عند الفجر سأكون عند الحافة الأخرى من الغابة حيث يقف زورق فرنسى ، وسيلتقطنى الزورق ويحملنى الى جزر المارتينيك ، وعندما أصلها آمنا سيكون فى جيبى لفافة ضخمة من الأوراق المالية .. ليس أسهل من هذا !!

سميزرز : (فى خبث) ولكن افرض أن شيئا ما قد حـدث وألقوا القبض عليك ؟

جـونز : (فى تصميم) لن يستطيعوا !! هذا هو الجواب !

سميزرز : نفرض جدلا . فماذا تفعل ؟

جونز : لدى خمس رصاصات أخرى تكفى لتقتل هؤلاء الزنوج .. وبعد ذلك تتبقى « الخرطوشة » الفضية . أخدعهم بها .

سميزرز : آه لقد نسيت هذه الخرطوشة الفضية .

جـونز : ان هذه « الخرطوشة » ستلعب دورها حتى النهاية .. وعندما تنطلق ستصيب الرجل « المناسب » .. هذه حقيقة . وبكل تأكيد ..

(وضاحكا في عصبية وثقة) ما هذا الذى أقوله .. اننا لم نصل بعد الى هذا الحد .. ولن يكون من نصيب هؤلاء الأوغاد أن يستخدموها . ان هذه « الخرطوشة » الفضية تجلب لى الحظ .. اننى أستطيع أن أتفوق عليهم فى فى التفكير .. وأن أسبقهم وأن أحزمهم فى أى ساعة من الليل أو النهار .. سترى هذا !!

(ومن بعيد ، من التلال انطلقت دقات الطبول .. وتبدأ كدقات القلب اثنتان وستعون دقة فى الدقيقة .. ثم تتعالى من هذه اللحظة حتى نهاية المسرحية .. جونز يتسمع بأذنيه .. وتزحف الى وجهه علامات الخوف .. ثم يتساءل محاولا أن يسترد شجاعته) ولماذا يدقون الطبول ؟ .

سميزرز : (باحتقار) لك .. ومعناها أن الحفلة الدامية قد بدأت .. قد سمعتها قبل ذلك وأعرفها جيدا .

جـونز : حفلة ؟ أية حفلة ؟؟ .

سميزرز : ان السود يعقدون اجتماعا .. ويرقصون رقصة الحرب .. لقد جمعوا شجاعتهم قبل أن يثوروا عليك .

جـونز : دعهم يفعلوا .. فهم فى حاجة الى هذه الشجاعة !

سميزرز : انهم الآن يقومون بطقوسهم الدينية ، ويستعينون بسحر الشياطين والتعاويذ ليواجهوا بها « خرطوشتك » الفضية .

جـونز : (استولى عليه الفزع رغم أنفه) ان هذا لا يخيفنى !!

سميزرز : (وقد أحس بمخـــاوف جونز . فى خبث) وفى الليل عندما تظلم الغابة سيطاردونك بشياطينهم وأشباحهم .. وسيقف شعر رأسك قبل أن يطلع الصباح . انه مكان رهيب هذه الغابة ! حتى فى النهار . فأنت لا تدرى ماذا سيحدث فى هذا الهدوء القاتل .. ففى كل مرة أذهب اليها يرتجف جسمى من الخوف .

جــونز : (باحتقار) اننى لست خائفا أو جبــانا مثلك !! اننى صديق هذه الأشجار .. وهذا هو القمر وسيمدنى بالضوء فليستخدم هؤلاء الزنوج الأشقياء سحرهم !! هل تظن أننى أومن بالأشباح والخرافات التى تملأ قصص هذه العجوز؟ امض أيها الرجل الأبيض .. ان هذا الحديث لا يعنينى ! انهم سيواجهون رجلا كان مهما فى كنيسة يوحنا المعمدان ! طبعا كنت هاما فى هذه الكنيسة !! عندما كنت خادما فى عربات البولمان قبل أن أقع فى متاعبى الصــــغيرة التى تعرفها ... دعهم يجربوا ألاعيبهم البدائيـــــة !! أما أنا فستحمينى الكنيســـــة ، وتلقى بهم جميعا فى الجحيم (ثم بكثير من الثقة) ولا تنس أن معى « خرطوشة » فضية .

سميزرز : اننى لم أسمعك تتحدث عن كنيسة يوحنا المعمدان هذه منذ جئت الى هنا . لقد ســمعتك بنفسى وقد عدلت عن المسيحية ورحت تؤمن بسحر هؤلاء الزنوج وخرافاتهم !

جــونز : لقد كنت أتظاهر بذلك .. طبعا كنت أتظاهر .. ان هذا جانب من الخــدعة .. فعندما يقولون عن شىء أسود انه أبيض فان صوتى يكون أعلى من صوتهم .. اننى لا أكسب شيئا اذا قمت بأعمال التبشير لهذه الكنيسة .. اننى أبحث عن المال .. أما يسوع فاننى أضــــعه على الرف فى الوقت الحاضر !! .

(ويتوقف فجأة وينظر الى ساعته) لن أضيع وقتى فى كلام تافه معك .. سأمضى بعيدا عن هذا المكان بعد لحظة .

(ويمد يده تحت العرش ويستخرج قبعة من قبعات بناما الغالية ، كثيرة الألوان ، ويضعها على رأسه) وداعا أيها الرجل الأبيض ، ربما أراك قريبا فى السجن !!

سميزرز : لست أنا .. لن ترانى .. لن أفعل مثلك أبدا .. على كل حال أتمنى لك نفس النهاية !

جـونز : (باحتقار) انك أجبن انسان رأيته فى حياتى !! أقول لك اننى سأكون آمنا اذا وصلت الى مدينة نيويورك ... ففى الوقت الذى يفكر فيه هؤلاء الزنوج فى خطة لمواجهتى سأكون قد هربت بعيدا عن أيديهم .

سميزرز : (متخابثا) بلغ تحيـــاتى الى الأشـــباح التى ستقابلك بالطريق !

جـونز : (فى غيظ) اذا كان هذا الشبح لديه مال فسأحذره منك !.

سميزرز : الا تأخذ معك بعض الحقائب ؟

جـونز : عنـــدما أريد أن أتحرك بسرعة يجب أن أكون خفيفـــا .. وعندى خزانة قد أخفيها فى طرف الغـــابة ... أما القصر فأوصى به لك . ويحسن بك أن تجمع أنت الآخر متاعك قبل أن تقع فى قبضتهم .

سميزرز : (بامتنان) حسنا .. وأشكرك .

(ويتجه جونز بحذر نحو الباب الخلفى) اسمع ، انك لن تسير فى هذا الطريق .

جـونز : هل تظن أننى أخرج من باب الخدم كهؤلاء الزنوج ؟؟ اننى ما زلت امبراطورا ! والامبراطور جونز سيمضى فى الطريق

الذى يريده !! ولن يجرؤ هـؤلاء الزنوج أن يقفـوا فى طريقه ! (ويتوقف لحظة ويرهف أذنيه لأصوات الطبول) اسمع هــذه الدقات .. لابد أنها طبلة ضخمة تلك التى يحملونها معهم !! (ثم يضحك) هؤلاء الزنوج يجب أن يستخدموا فرقة نحاسية لتوديعى !! وداعا ايها الرجل الأبيض (ويضع يده فى جيبه فى اهمال واضح .. ويصفر ويخرج من الباب .. ويتجه الى اليسار) .

سميزرز : (متطلعا اليه فى حيرة واعجاب) ان هذا الرجل أعصابه قوية !! (فى غضب) هذا الزنجى الحقير ! ليتهم يلقون القبض عليه ، وينزلون به كل ألوان العذاب .

المنظر الثانى

نهاية الوادى وبداية الغابة الكبيرة ،مقدمة المسرح مغطاة بالرمل ، وتناثرت عليها بعض الأحجار ، وقامت فيها احراش متقاربة تقف فى وجه الريح . وفى مؤخرة الغابة يوجد حائط مظلم .. وعندما تتعود العين هذا الظلام .. تسلط الاضواء على جذوع الأشجار القريبة .. وتبدو وراءها أعمدة من الظلام القاتم .. واصوات الرياح تصفر بين أوراق الشجر .. وهذا الصوت يرهف الاحساس بوحشة الغابة فى سكونها وفى جمودها .. وبذلك يعطى جوا صامتا ، مخيفا .

(جونز يدخل من اليسار .. يمشى بسرعة .. ويتوقف عندما يقترب من حافة الغابة .. ويتلفت حوله بسرعة .. ويتطلع فى الظلام كأنه يبحث عن معالم الطريق .. ويتظاهر بأنه قد وجد بداية الطريق .. ثم يلقى بنفسه على الأرض من شدة التعب . .

جونز : واخيرا جئت هنا فى الوقت المناسب .. حتى القمر صغير لم يرسل ضياءه بعد (ويخرج من جيبه منديلا ليجفف به عرقه) وقد أرهقنى الطريق .. اننى فى حاجة الى هواء أتنفسه .. كدت أموت من التعب .. ان وظيفة امبراطور لم تمكننى من قطع هذه الرحلات الطويلة عبر الوادى ، وفى وهج الشمس .. انهض أيها الزنجى فان ما خفى كان أعظم ! (ويرفع رأسه ، وينظر الى الغابة ، ويبدو عليه الفزع) يا الهى ! انظر الى ظلام الغابة ! انظر أيها الامبراطور !!

لقد قال لى ذلك الحقير سميزرز : ان سوادها سيزداد ؛ ومخاوفها ستتكاثر .. (ثم ينظر الى قدميه بسرعة كأنه يريد أن يصرف انتباهه عن هذا الظلام) وهاتان القدمان لا تقومان بعملهما على خير وجـــه .. أتمنى ألا يحطمكما الطريق .. من حقكما أن تستريحا بعض الوقت .. (وينزع حذاءه ، ثم يتفادى النظر الى الغابة ، ويتلمس بيديه بطن قدميه) لا تزال قدماى ملتهبتين كأنما أصيبتا بحمى .. من حقكما الآن أن تستمتعا بالرطوبة .. ويجب ألا ننسى أن أمامنا طريقا طويلا (يطرح مرهقـــا .. ويتسمع الى دوى الطبول .. ويصرخ ليدارى قلقـــه المتزايد) الويل لكم يا زنوج الغابة ! يا للعجب انكم لم تتعبوا من دق هـــذه الطبول . فان أصواتكم تزداد علوا .. لا أدرى ان كانوا قد بدأوا في البحث عنى .. (ويتلفت عبـر الـوادى) اننى لا أستطيع أن أراهم الآن حتىولو كانوا على بعد مائة قدم (ويهز نفســـه كما لو كان كلبا مبللا يريد أن ينفض أفكاره السوداء) اننى على يقين أنهم يبعدون عنى أميالا وأميالا .. ماذا يريدهؤلاء الزنوج ، وعن أىشىء يبحثون ؟!! (ويجلس ، ويرتدى حذاءه بسرعة ، ويتمتم طول الوقت مشجعا نفسه) هل تدرى أن بطنك خاو ، هذا هو سبب ارهاقى وتعبى .. لقد حان الوقت لتناول الطعام .. لا شىء الا الريح ، الا الهواء فى معدتك !! وهذا هو سبب تعبك !! حسنا سنأكلهنا عندما افرغ من لبس هذا الحذاء الحقير (ويفرغ من لبس حذائه) هيا بنا نأكل . (ثم يزحف على يديه ورجليه مفتشا بعينيه عن طعام) ايها الحجر الأبيض أين أنت ؟ (ويرى أول حجر أبيض .. ويزحف ناحيته بشىء من الارتياح ! لقد وجدتك ، اننى أعلم أن

هذا هو الطريق الصحيح ! أين أنت يا صندوقى ؟! تعال الى ! (ويقتلع الحجر الأول وينقب بيديه تحته فى صورة من اليأس) ألست هنا أيها الصندوق ؟ هل أخطأت الطريق اليك ؟! ان هناك حجرا آخر .. أعتقد أنه هناك (يرتمى على الحجر الثانى ويقتلعه) ولا هنا ؟! أيها الصندوق أين أنت ؟! ألست هنا ؟! هل سأمضى فى هذه الغابة جائعا طول الليل ؟! (وبينما هو يتحدث الى نفسه ، ويتنقل من حجر الى حجر مقتلعا واحدا تلو الآخر بجنون ، ينتفض واقفا) هل ضللت الطريق ؟! لابد أننى ضللت الطريق ! ولكن كيف حدث ذلك مع أننى التزمت الدرب عبر الوادى فى وضح النهار ؟! السبب هو أننى جائع وكان لابد أن أتناول طعاما .. فمن أين تأتينى القوة ما دمت جائعـا .. ولماذا أقبل الظلام هكذا بسرعة .. اننى لم أعد أرى شيئا (ويشعل عود ثقاب .. وينظر حوله بينما تتزايد دقات الطبول .. ويتحدث هو بصوت مرتعد) كيف جاءت كل هذه الأحجار ؟! بينما لا أتذكر الا واحدا ! (وفجأة وبيد مرتعدة يلقى بعود الثقاب على الأرض ويسحقه بقدمه) . أيها الزنجى هل جننت ؟ هل تشعل أعواد الثقاب لتريهم أين أنت ؟! يالله ! استخدم عقلك ! ! يجب أن تكون حريصا ! (وينظر بعينيه بفزع الى الوادى وراءه . ويده على مسدسه) ولكن من أين جاءت كل هذه الأحجار البيضاء ؟ ثم أين هذا الصندوق الذى أخفيته هنا ؟ (وعندما يستدير بظهره تزحف الى المسرح مخاوف صغيرة على هيئة أشباح من الغابة المظلمة .. وهذه الأشباح السوداء ليس لها شكل محدد .. ولا نرى منها سوى عيون لامعة .. واذا كان لابد أن يكون لها شكل .. فهى على شكل ديدان فى حجم طفل يحبو .. وهى تحاول بصعوبة أن تقف على

قدميها .. ولكنها تفشل . أما جونز فيتجه في مواجهة الغابة ويحملق في أعالي الأشجار محاولا في يأس أن يعرف أين هو) ـ انني لا أعرف طريقي .. ان هذه الأشجار لا تدلني على شيء .. لاشيء هنا يبدو كما كنت أعرفه من قبل .. لاشك انني قد ضللت الطريق!! (وفي حزن شديد) ان هذا لأمر غريب ! ان هذا الأمر عجيب !! (وفي تحد مفاجيء ، وفي نبرة غاضبة) أيتها الغابة ، انك تحاولين أن تفزعيني ! (ومن الأشباح التي تتحرك أمامه تنطلق ضحكة صارخة كأنها الريح تصفر بين أوراق الشجر ... وتحاول الأشباح أن تتعلق به ... وينظر اليها جونز ، ويرتد الى الوراء بفزع ، وقد أمسك مسدسه بيده ... وفي صوت مرتجف) ما هذا ؟ من هناك ؟! من أنت ؟! ابعد عني ، والا أطلقت عليك الرصاص !! ـ (ويطلق الرصاص .. وينطلق من المسدس ضوء لامع ، ودوى ، وصمت لا يمزقه الا ضربات الطبول السريعة البعيدة ... أما الأشباح فقد انسحبت الى الغابة .. ويبقى جونز جامدا في مكانه يصغى بانتباه ... وصوت الطلق الناري واحساسه بأن المسدس في يده قد أعاد اليه شجاعته الضائعة ... وبدأ يتحدث الى نفسه في ثقة من جديد) .

لقد مضوا ... ان هذا الرصاص قد أعادهم الى مكانهم ... لم يكونوا سوى حيوانات صغيرة خنازيرية ... لابد أنهم قد نقبوا عن الصندوق وأكلوه ... أيها الزنجي الأبله ! ماذا تظنهم !! انهم ليسوا سوى أشباح !!

(في اضطراب) انك أضعت هذه الرصاصة في الهواء ... ان هؤلاء الزنوج قد استمعوا الى هذا الطلق الناري . لقد جاء الوقت كي تشق طريقك الى الغابة دون ابطاء .

(ويتجه الى الغابة ، ويتردد قبل أن يخوض أشجارها .. ثم يستحث نفسه في تصميم وعزم) امض أيها الزنجي ! ما الذي يخيفك ؟ لا شيء هناك سوى الأشجار .. امض ! (وفي جرأة ينطلق بين أشجار الغابة) .

المنظر الثالث

وفى الغابة القمر قد ارتفع .. وأشعته تتدلق بين أوراق الشجر .. فأصبح كل شيء لامعا ، واضحا .. ولكن هناك حائطا كثيفا من الأحراش فى مقدمة المسرح .. يخفي وراءه مساحة خالية من الشجر على شكل مثلث .. ووراءها السواد القاتم فى الغابة كأنه حاجز ضخم .. ويبدو طريق مظلم يفضى الى هذا المثلث من الناحية اليسرى فى المؤخرة .. ويتلوى متجها الى الناحية اليمنى . وعندما يرتفع الستار لا تكون معالم الأشياء واضحة ، فيما عدا دقات الطبول التى يكون صوتها قد ارتفع قليلا واسرع عما كان عليه فى المنظر السابق . وهناك صمت يمزقه كل لحظة صوت غريب .. ثم يظهر شيئا فشيئا أمامنا الزنجى جيف يزحف فى مؤخرة هذا المثلث .. انه فى منتصف العمر ، نحيل ، اسمر .. وقد ارتدى ملابس خادم عربات البولمان .. وعلى راسه قبعة .. انه يلقى بالزهر على الأرض أمامه ثم يلتقط الزهر ويهزه ثم يرميه .. ويفعل ذلك بصورة منتظمة آلية كما لو كان آلة .. لأنه آلة .. ووقع اقدام ثقيلة تقترب من الطريق الى اليسار .. ثم صوت جونز يجيء عاليا .. وهو يحاول أن يخفى مخاوفه .

: لقد طلع القمر . هل تسمع أيها الزنجى ؟ لقد أضاء أمامك كل شيء .. فلن يصطدم رأسك بفروع الشجر .. ولن تعرقل الأحراش ساقيك فأنت ترى الآن طريقك بوضوح .. فالى الأمام !! (ومن حين الى حين يستريح بعض الوقت ..

ويتجه الى مؤخرة الأرض المثلثة ... ويمسح وجهه بكمه .. وقد فقد قبعته وجرحت الأشجار وجهه ومزقت ملابسه) اننى لا أدرى كم الساعة الآن .. ولن أشعل عود ثقاب مرة أخرى لأعرف كم الساعة .. الجو حار جدا .. (وفى تعب) اننى لا أدرى كم من الوقت قطعته فى طرقات هذه الغابة .. لابد أنها ساعات وساعات طويلة كأنها الأبدية .. مع أنه لم يمض سوى وقت قليل .. فالقمر لم يطلع الا منذ حين .. فأمامك ليلة طويلة يا صاحب الجلالة ! (قالها بحسرة) يا صـــاحب الجلالة لم تعد لك جلالة الآن ! (ويحاول أن يتشجع) ليس هذا مهما .. ان هـــذا جزء من الخطة .. ستنتهى هذه الليلة كما انتهى قبلها كل شيء آخـــر ... فعندما تصل الى هناك فى أمان وفى يديك أموالك ستضحك كثيرا .. (ويحاول أن يصفر ثم يتوقف فجاة) ولماذا تصفر أيها المسكين ؟! هل تريد أن يسمعك العـــالم كله ؟ (ثم يتوقف عن الكلام وينصت) ما تزال هنـــاك الطبول .. اننى أقترب جدا من مكانها .. انهم يحملونها معهم .. لقد حان الوقت لأواصل الســير (ويخطو خطوة الى الأمام ويتوقف فى قلق) ما هذا الصوت الغريب الذى أسمعه هنا ؟ انه صوت غريب .. صوت يشبه .. صوت يشبه .. يا الهى ! انه صوت يشبه أحد الزنوج وهو يرمى الزهر (فى خوف) يحسن أن أضربه عندما أعرف مكانه (ويمشى بسرعة الى المثلث .. ويقف جامدا عندما يرى جيف .. وفى فزع) من هناك ؟! من هذا ! هل أنت يا جيف ؟! (متجها اليه وكأنه قد نسى كل شيء معتقدا أن الذى وراءه كائن حى .. وفى نبرة ارتياح) يا جيف ! اننى سعيد جـــدا برؤيتك . لقـــد أخبرونى بأنك لم تمت عنـــدما ضربتك

بالمسدس (ويتوقف فجأة في رعب) ولكن كيف جئت هنا أيها الزنجي ؟ (ويحملق فيه مبهورا .. بينما يستمر جيف في القاء الزهر .. وجونز يدور بعينيه بفزع) ألا تريد أن تتكلم ؟ انظر الى ! ألا تستطيع أن تكلمني ؟ هل أنت شبح ؟ .

(ويخرج مسدسه في عصبية وغيظ وخوف) سأقتلك أيهـا الزنجي فورا ! أيجب أن أقتلك مرة أخرى ؟! اذن سأقتلك (ويطلق عليه الرصاص . وعندما يتبدد الدخان يكون جيف قد اختفى .. ويقف جونز يرتعد .. ثم مستعيدا ثقته بنفسه) لقد اختفى على أي حال .. سواء أكان شبحا أم لم يكن .. لقد اختفى ! (ويلاحظ أن دقات الطبول بدأت تعلو وتسرع .. وجونز يشعر بها .. وفجأة يتطلع وراءه) .. انهم يقتربون .. انهم يقتربون بسرعة .. وأنا هنـــا أطلق الرصاص لأدلهم على مـكاني ! يا الهي ! يجب أن أهرب بجلدي (وقد نسي الطريق .. يندفع في جنون الى الأحراش في مؤخرة المسرح ... ويتوارى في الظل) .

المنظر الرابع

فى الغابة .. الطريق واسع ، قذر ، يتجه من يمين المقدمة الى يسار المؤخرة .. وعلى الجانبين تقع اشجار الغابة .. والقمر الآن فى منتصف السماء .. والطريق يلمع فى ضوء القمر باهتا ، وغير واضح ، كانما الغابة قد تنحت قليلا لتفسح للطريق مكانا ، وتخفى سرها .. بعد ان يحدث ذلك تعود الغابة تنطوى على نفسها .. ويختفى الطريق .. ويتعثر جونز فى الناحية اليمنى .. قد تمزقت ملابسه .. ويتلفت فى دهشة عندما يجد الطريق .. ولا يقوى على أن يفتح عينيه فى ضوء القمر الباهر .. ويرتمى على الأرض مرهقا بعض الوقت .. ثم تنتابه ثورة غضب مفاجىء .

جونز : اننى أكاد أذوب من الحر .. اننى لم أكف عن الجرى من هنا الى هناك .. اللعنة لهـــذه الملابس الثقيلة ! (ويمزق ملابسه .. وينزعها . ويرمى بها على الأرض .. ويبدو عاريا حتى خصره) هكذا ! هذا احسن .. الآن أستطيع أن أتنفس (وينظر الى قدميه ـ وتقع عيناه على المهموز) وأنت أيها الحذاء الى الجحيم ! لقد حطمت قدمى وساقى (ويفـــك حذاءه ويلقى به بعيدا بملل) قد تخلصت منهم جميعا أيها الامبراطور .. وفى استطاعتك الأن أن تســـافر بخفة .. يا الهى ! اننى مرهق .. (بعد برهة وهو يستمع الى دقات الطبول الملحة البعيدة) يجب أن تكون بينى وبينهم مسافة فبعد هذا الجرى الطويل لا تزال هـــذه الطبول ترن فى أذنى .. بل انها تقترب أكثر فأكثر .. ولكن يجب أن أسير

فى المقدمة . انهم لن يدركونى (متنهدا) آه لو أسعفتنى ساقاى ! اننى حزين لاننى قطعت الشوط حتى آخره ... فوظيفة امبراطور وظيفة عسيرة !! (ويتلفت حوله فى ريبة) ولكن كيف جاء هذا الطريق الى هنا ؟! انه طريق مرصوف !! اننى لا أذكر أننى رأيته من قبل (ويهز رأسه فى شك) ان هذه الغابة ولا شك قد امتلأت بأشياء عجيبة بالليل ! (وفى فزع مفاجىء) يا الهى .. ارحمنى من هذه الأشباح !! لا أريد أن أراها .. لقدحطمت أعصابى (ويحاول أن يحدث نفسه فى ثقة) أشباح ؟ تقول انها أشباح أيها الزنجى الأبله .. فلا يوجد شىء اسمه أشباح .. ألم يقل لك القسيس أكثر من مرة انه لا توجــد أشباح ... أنت انسان متحضر .. هل أنت كهؤلاء الزنوج الجهلاء .. ان هذه الأشباحلا وجودلها الا فى رأسك .. لا شىء هناك .. ولا شىء هناك اسمه جيف .. ألا تعرف أنك ترى هذه الأشياء لأن معدتك خالية وأن الجوع قد أرهقك .. فالجوع يخــدع رأسك وعينيك .. ان أى أحمق يعلم ذلك ! (ثم يتوسل فى حزن) ولكن يا الهى لا تدعنى أر شيئا من هذا أيا كان أشباحا أم غير أشباح !! (ثم فى حذر) اسكت . لا تتكلم .. اسكت .. انك فى حاجة الى السكوت .. امض فى طريقك من جديد . (متطلعا الى القمر) لقد مضى نصف الليل ، وستصل الى الشاطىء مع الصباح ، وحينئــذ تكون فى أمان .

(ومن الجهة اليمنى يدخل بعض الزنوج .. وقد ارتدوا ملابس المسجونين .. وحلق كل منهم رأسه .. وقد ربطت رجل كل منهم بسلسلة غليظة فى نهايتها كرة من الحديد ثقيلة .. وبعضهم يحمل الفــأس أو الجاروف ... ويتبعهم

رجل أبيض ارتدى ملابس حارس سـجن .. وعلى كتفـه بندقية .. وفى يده سوط غليظ .. وعندما يشير الحارس اليهم يقفون على الطريق الذى يجلس فيه جونز .. بينما كان جونز زائغ النظر الى السماء لا يشعر باقترابهم ـ الاقتراب بلا صوت ـ وفجأة يراهم وتجحظ عينـاه .. ويحاول أن ينهض على قدميه ويهرب ولكنه يلبث فى مكانه وقد أذهله الخوف .. وفى ذل وتوسل) ...

جـونز : يا آلهة السماء ! (حارس السجن ياوح بسوطه ـ وبلا صوت أيضا ـ وعند هـذه الاشارة يبدأ كل المسجونين برصف الطريق .. ويلوحون بالفئوس .. ولكن لا يسمع لهم صوت .. وحركاتهم كحركات جيف فى المنظر السابق آلية ، جامدة ، بطيئة ... ويشير حارس السجن بسوطه الى جونز ... ويدفعه الى أن يأخذ مكانه بين المسجونين .. وينهض جونز فى ذهول كأنه فى حالة تنويم مغناطيسى ويتمتم فى اذعان) نعم يا سيدى ... حاضر ياسيدى .. اننى قادم (وعندما يتحرك متجها الى المكان الذى أشار اليه حارس السـجن ... يلعنـه فى صوت هامس ملؤه الغيظ والحقد) اللعنة عليك ! اننى لابد أن أعرفك يوما ما ! (ويحرك جونز يديه كأن فيهما جاروفا يحمل فيه التراب ويلقى به الى جانب الطريق فى حركة آلية .. وفجأة يقترب منه الحارس .. ويتهدده غاضبا .. ويرفع صوته ويلهب به ظهر جونز .. ويتلوى جونز من الألم .. ويستسلم فى هوان ويتركه الحارس فى احتقار ويمضى بعيدا عنه .. وفى التو يستجمع جونز قواه وينتصب واقفا .. ويرفع جاروفه الى أعلى كما لو كان مقبضا من حديد .. ويقفز محاولا قتل الحارس .. وفى اللحظة التى ينزل فيهـا الجاروف على

جمجمة الرجل الأبيض ... يتنبه جونز فجأة انه ليس في يديه شيء .. فيصرخ في يأس) أين جاروفي ؟! أعطني هذا الجاروف حتى أحطم رأس هذا اللعين ! (وهو يناشد زملاءه المسجونين) اعطوني جاروفا !! فليعطني أي واحد منكم جاروفا !! (يقف المسجونون جامدين .. بلا حراك .. عيونهم الى الأرض ويبـــدو الحارس كأنه ينتظره متوقعا ما سيحدث له ، وقد أدار ظهره الى جونز ... أما جونز فهو في غضب وفزع يخرج مسدسه) سأقتلك أيها الشيطان الأبيض ! حتى لو كانت هذه آخر لحظة في حيـــاتي ! سأقتلك سواء أكنت شبحا أم شيطانا !! (ويخرج المسدس ويطلق رصاصة على ظهر الحارس .. وفي هـــذه اللحظة تقترب جدران الغابة من الجانبين .. ويختفي الطريق ومعه المسجونون ... والصوت الوحيد الذى نسمعه هو صوت جونز وهو يزحف في جنون بين الأحراش بصورة مجنونة ثم دقات الطبول ما تزال بعيدة ولكنها تتزايد وتسرع) .

المنظر الخـامس

ارض دائرية .. فضاء كبير .. تحيط بها جذوع اشجار متلاصقـة ، طويلة ، لا نرى أعاليها . . وفى الوسط يوجد جذع شجرة قديم ، قد تآكل من فعل الزمن ، فبدا كالمنصة التى يقف عليها السمسار .. والقمر يغمر المكان بضيائه .. وجونز يشق طريقه فى الغابة الى اليسار .. وينظر مذهولا الى الارض الفضاء بنظرات كلها خوف وفزع .. وقـد تمـزق « بنطلونه » وحذاؤه .. ويتجه فى حرص نحو جذع الشجرة فى المنتصف .. ويجلس عليه متاهبا للهرب فى اية لحظة .. ثم يضع راسه بين يديه ويهتز الى الأمام والى الوراء .. وهو يرثى لنفسـه فى حزن واسى .

جـونز : يا الهى ! يا الهى ! يا الهى ! يا الهى ! (ويركع على ركبتيه ويرفع يديه الى السماء ، ويتضرع فى ألم وحزن) ياالهى ! استمع لدعائى ! اننى أبدو كالخـاطىء المسـكين .. اننى أعرف أننى أخطأت .. أعرف ذلك .. فعندما أمسكت جيف وهو يغش الزهر قد غلبنى الغضب فصرعتـه قتيلا .. يا رب ! اننى أخطأت ! وهـذا الحارس عنـدما ضربنى بالسوط ، غلبنى الغضب على أمرى ، فقتلته .. يا الهى ! لقد أخطأت ! وهؤلاء الزنوج الحمقى عنـدما رفعونى الى عرش الامبراطور ، سرقت كل ما وقع فى يدى .. يا رب ! لقد أخطأت ! اننى أعرف ذلك .. وأنا شـديد الأسف .. فسـامحنى يا رب ! سامح الآثم المسـكين ! (وفى خوفه

مفاجىء) أبعدهم عني يا رب .. أبعدهم عن طريقى ! وأسكت دقات الطبول التى تمزق أذنى ! (ويقف على قدميـــه ، وواضح أن الدعوات قد أراحته ، وأعادت اليه الثقة بنفسه) ان الله سيحفظنى من الأشـــباح ! (ويجلس على جـذع الشـــجرة) اننى لم أعـــد أخاف من البشر الحقيقيين .. فليجيئوا هنا .. أما الأشباح (ويرتعد .. وينظر الى قدميه .. ويلعب بأصابعه فى حذائه) مسكينة قدماى ! ان هـــذا الحذاء قد أرهقهما وجرحهما .. ومن الأفضـــل أن أمشى بدونه (وينزع حذاءه الممزق ، ويمسكه فى يديه ، وينظر اليه فى أسى) لقد كان هذا الحذاء جلدا ممتازا ... أنظر اليه الآن أيها الامبراطور !! انك على أسوأ حال (ويتنهد فى حسرة ، ويظل حانى الرأس ينظر الى حذائه فى يديه كأنما لا يريد أن يتركه .. بينما هو مأخوذ بمخاوفه .. يدخل جمهور من الأشخاص بصمت من كل جانب من جوانب المسرح .. وقد لبسوا جميعا ملابس أبناء الجنوب فى حوالى منتصف القرن المـــاضى .. فهناك رجال فى منتصف العمر من المزارعين .. ويظهر شخص هام هو السمسار .. وجمهور من المتفرجين من الفتيات ، والأغنياء ، قد جاءوا لمشاهدة سوق الرقيق .. يتبادلون التحيات .. ويتحـــدثون معا فى صمت .. وحركاتهم جافة ، متكلفة ، آلية .. ويتجمعون حول جذع الشجرة .. ويتقدم الرقيق يقوده أحـــد الخدم ـ والرقيق ثلاثة من الرجال فى أعمار مختلفة .. وامرأتان قد حملت احداهما طفلا على صدرها ترضعه .. وقد وضعوا جميعا الى يسار جذع الشجرة بجوار جونز . والمزارعون البيض ينظرون الى الرقيق كما لو كانوا قطعانا من الماشية ويتبادلون الحكم عليهم .. والأغنيـــاء يشيرون بأصابعهم

ويبدون بعض الملاحظات الخاطفة ، وكذلك تفعل الفتيات كل ذلك يجرى في صمت ما عدا دقات الطبول .. والسمسار يرفع يده .. وقد أخذ مكانه فوق جذع الشجرة .. وجمهور المتفرجين ينصت اليه باهتمام .. ويلمس السمسار كتفى جونز مشيرا اليه لكى يقف فوق جذع الشجرة . ويتطلع اليه جونز ، فيرى الجماهير فى كل جانب .. وهو يحاول أن يجد ثغرة ليهرب .. فلا يجد .. فيصرخ ويقفز فى جنون فوق جذع الشجرة ليبعد عنهم قدر استطاعته .. ويظل واقفا وقد أصابه الفزع بشلل تام .. ويبـــدأ السمسار مساوماته الصامتة .. ويشير الى جونز .. وينادى المزارعين أن يختاروه لأنفسهم .. فهو له سواعد قوية .. وهو ما يزال قويا رغم أنه فى منتصف العمر .. وهم ينظرون الى ظهره ، وكتفيه ، والى عضلات ذراعيه ، والى ساقيه ، وهو قادر على أن يقوم بأى عمل شاق .. يضاف الى ذلك أنه ذكى ، ولبق ، فهل يتقدم أحد السادة للدخول فى المزاد ؟ ويرفع المزارعون أصـــابعهم ويقترحون الثمن .. ويبـــدو أنهم حريصون جميعـــا على اقتنـــاء جونز ـ ويستمر المزاد والاهتمام واضح على وجوه الجمهور .. وبينما هم كذلك تبدو شجاعة اليأس على وجه جونز .. فيجرؤ على النظر الى الناس حوله وعلى وجهه فزع واضح ، يعقبه ذهول ، ثم صحو وادراك واضح .. فيتكلم) .

جـونز : ماذا تفعلون هنـــا أيها البيض ؟ ما كل هذه الضوضاء ؟ ولماذا تنظرون الى هكذا ؟ ماذا تصنعون بى ؟ (وفى حالة تشنج وغيظ ، وحقـــد وخوف) هل هـــذا مزاد ؟ هل تبيعوننى كما كان يحـــدث قبل الحرب ؟!! (ويخرج مسدسه عندما يدفع به السمسار الى أحد المزارعين ـ

ويبدو حائرا بعينيه بين البائع والمشترى) وأنت تبيعنى ؟!
وأنت تشترينى ؟! ساريكما كيف أننى زنجى حر ! اللعنة
عليكما !! (ويطلق الرصاص على السمسار وعلى المزارع
بسرعة كأن الرصاصتين قد انطلقتا فى وقت واحد .. وكأنما
كانت هذه اشارة الى أن يقترب حائطا الغابة .. فلا يبقى
الا الظلام والصمت الذى يمزقه صوت جونز وهو يجرى
صـــارخا من الخوف .. ودقات الطبول التى تستمر فى
السرعة والارتفاع) .

المنظر السادس

مكان فسيح فى الغابة .. وغصون الأشجار تتشابك فوقه كأنها سقف منخفض يرتفع عن الأرض خمس اقدام .. ويبدو هذا المكان المظلم كأنه سفينة قديمة .. اما ضوء القمر فهو بعيد تماما فيما عدا ضوءا خافتا يتسرب من بين الأشجار .. وصوت يقترب من اليسار .. وجونز يتخبط ويزحف .. وصوته وهو يبكى يجىء ممزقا .

جـونز : يا الهى ! ماذا عساى أن أفعل الآن ؟ . لم يعد معى رصاص الا هذه « الخرطوشة » الفضـــية .. واذا هاجمتنى هذه الأشباح فكيف أستطيع أن أطردها بعيدا عنى .. يا الهى ! لم يبق معى سوى هذه الخرطوشة الفضية .. وقد احتفظت بها كشىء يجلب الحظ .. فاذا أطلقتها فقد حل بى الدمار .. يا الهى ! ان الظلام يعم كل شىء ! .. أين القمر ؟! يا الهى ! أليس لهذا الليل نهاية ؟!! (ويتلمس طريقـــه الى الأمام بحذر) هنا ! يبدو أن هذا مكان فسيح .. سأستريح هنا بعض الوقت .. ولا يهمنى اذا أدركنى الزنوج .. فلا بد أن أستريح .. (يتقدم الآن الى الأمام فيبدو وقد لفه الظلام « وبنطلونه » قد تمزق فلم يبق منه سوى قطعة قماش مهلهلة .. ويرتمى على الأرض ممددا ، ووجهه الى الأرض فى ارهاق .. وبالتـــدريج يظهر الضوء على هذه الأرض المصورة .. ويبدو صفان من أشباح يجلسون وراء جونز .. ويبدو أنهم يجلسون فى يأس وقد جلس كل فى مواجهة

الآخر .. وقد لامست ظهورهم جـدار الغابة .. وكلهم من
الزنوج وراءه .. وقد تغطوا بجلد أسد ... وفى أول الأمر
لا يتكلمون ولا يتحركون ، وبعد ذلك يبدأون فى الحركة
ببطء الى الأمام والى الوراء ، ثم يهتزون جميعا فى حركة
موحدة كأنهم على ظهر مركب .. وفى نفس الوقت يعلو
بينهم همس حزين ، لا يزال يعلو شيئا فشيئا بدرجات
منتظمة ، كأنها تتمشى مع دقات الطبول البعيدة .. ولا تزال
تعلو حتى تصبح عويلا يائسا ، حادا ، لا يطاق ، ثم تهبط
بالتدريج حتى تستحيل الى صمت وتعلو من جـديد .
وجونز يبدأ فى التطلع حول هذه الأشباح .. ويلقى بنفسه
على الأرض مرة أخرى حتى لا يرى شـيئا .. ويرتجف من
الفزع عندما يعلو النحيب مرة أخرى .. وفى المرة التالية
يعلو صوته كأن قوة تضغط عليه فيصرخ مع الآخرين ..
وعندما تتعالى أصواتهم ينهض ، ويجلس مثلهم ، ويهتز الى
الوراء والى الأمام مثلهم ، ويبلغ صوته أقصى درجات الأسى .
ويتلاشى الضوء والأصوات ، فلا يبقى الا الظلام .. ويسمع
صوت جونز وهو يصرخ هاربا .. ويتلاشى صوته شيئا
فشيئا كلما اوغل فى الغابة .. أما صوت الطبول فيتعالى
ويسرع بالحاح كأنه موسيقى النصر) .

المنظر السابع

جذع شجرة ضخمة عند حافة النهر الكبير .. حائط حجرى قديم يبدو وكأنه مذبح فى كنيسة .. وشاطىء النهر يبدو عاليا فى مؤخرة المسرح .. وسطح النهر يمتد بعيدا كصفحة فضية فى ضوء القمر ؛ وقد غطته غلالة من الضباب الأزرق تبدو بعيدا .. ونسمع صوت جونز من الناحية اليسرى يعلو ويهبط يائسا بين أنات الرقيق المصفدين فى الأغلال .. والصوت يعلو ويهبط مع الدقات المنتظمة للطبول .. وبينما ينخفض صوته يدخل الى المسرح .. ويبدو وجهه جامدا ، متحجرا ، وفى عينيه لمعان مجنون .. ويتحرك كأنه نائم .. ويتلفت حوله الى الأشجار ، والى المذبح ، والى صفحة النهر الفضية ..ويمر بيده على رأسه فى حيرة ودهشة .. ثم يركع على ركبتيه بخشوع أمام المذبح كأنه يستسلم لدافع غامض .. ويبدو أنه قد عاد الى بعض صوابه لأنه ما يزال لا يدرى ما الذى يفعله ، ولأنه زائغ البصر ، خائف من كل شىء حوله .

جونز : ما هذا ؟! ما هذا الذى أفعله ؟! ما هذا المكان ؟! يبدو كأننى أعرف هذه الشجرة ، وهذه الأحجار ، وهذا النهر .. يبدو أننى كنت هنا من قبل ! (مرتجفا) اننى أخاف من هذا المكان .. اننى خائف .. يا الهى !! احفظ عبدك الخاطىء ! (ثم يزحف على رجليه مبتعدا عن المذبح ، مخفيا وجهه ويبكى بصورة مجنونة ــ ومن وراء جذع الشجرة يخرج ساحر كأنه انطلق من جذع الشجرة .. فانه عجوز .. عار

فيما عدا جلد حيوان صغير قد التف حول خصره .. وله ذيل يتدلى الى الامام ... وجسمه مدهون بلون أحمر فاتح .. وله قرنا بقرة على جانبى رأسه متجهان الى أعلى .. ويحمل فى يده قطعة من العظم ، وفى يده الأخرى عصاه السحرية وحزمة من الريش الأبيض .. وقد تحلى فى عنقه ، وأذنيه ، ومعصميه ، ورجليه بجعارين من الزجاج والعظم ... ويقفز على المسرح قفزات غريبة ، لا تحدث صوتا ، ويتحرك بين جونز والمذبح ... ويبدأ فى الرقص والغنـــاء كأنه يساير دقات الطبول التى تزداد قوة ، وتبلغ ذبذباتها العنيفـــة الهواء .. ويرفع جونز رأسه ، وينهض على ركبتيه ، ولكنه يبقى جامدا فى خوف من رؤية هذا الساحر .. أما الساحر فيضرب المسرح برجليه .. ويعلو ويهبط بصورة رتيبـــة دون أن يتخلله كلام .. وبالتدريج يصبح رقصه توقيعا كأنه يروى قصة : انه يهرب فتتبعه الشـــياطين .. ويختفى .. ويهرب مرة أخرى .. وتصبح قفزاته على المسرح أعنف .. ويزداد اقتراب الشياطين منه .. ثم يستولى عليـــه روح الرعب نهائيا .. أما غناؤه فيعلو ويصبح صرخات منتظمة ــ أما جونز فيبـــدو أنه فى حالة تخدير تام .. ويشترك هو الآخر فى الغناء والصرخات .. ويساير دقات الطبول بيديه ويهتز الى الأمام والخلف ، فهـــذا الرقص قد تغلغل فى نفسه . وأخيرا يصبح الرقص وكأنه يروى حالة من اليأس . ثم يتحول بعد ذلك كأنه أمل وحشى .. ثم كأنه خلاص : فقوى الشر تريد التضـــحية فيجب ألا تغضب .. ويشير الساحر بعصاه الى الشجرة المقدسة ، والى النهر وراءها ، والى المذبح ، وأخيرا الى جونز بلهجة الآمر القاسى ... ويبدو أن جونز قد فهم هذا المعنى .. فعليه هو أن يضحى بنفسه .. فهو يضرب جبهته فى الأرض ويبكى بصورة جنونيـــة)

الرحمة يا رب ! الرحمة ! ارحم الخاطىء المسكين ! (ويقفز الساحر الى شاطىء النهر .. ويمد ذراعيه .. وينادى بعض الآلهة فى أعماقه .. ثم يتراجع الى الوراء فى بطء ويظل ناشرا ذراعيه .. ومن النهر يبدو راس تمساح ضخم .. فيعلو على الشاطىء .. وله عينـــان خضراوان لامعتان ، وقد تركزتا على جونز .. فينظر اليهما مأخوذا .. ويتجه الساحر الى التمساح ويلمســـه بعصاه .. وفى سيطرة بغيضة يتجه اليه .. ويتلوى جونز واضعا يده على بطنه .. ويستمر فى البكاء) الرحمة يارب !! الرحمة !! (التمساح يخرج من الماء شيئا فشيئا .. جونز يتلوى فى اتجاهه .. صوت الساحر يتردد فى جنبات المسرح بصورة صارخة .. دقات الطبول تتعالى فى جنون .. جونز يصرخ .. وفى حالة من التوســـل ، والقلق ، والتشنج) انقـــذنى يا رب ! يا الهى ! استجب لدعائى ! (وفى الحال ، واستجابة لهذا الدعاء تبرز له فكرة الخرطوشة الفضية التى بقيت معه ، ويمد يده الى جيبه ، ويصرخ فى تحد) الخرطوشـــــة الفضية !! أنت لم تغلبنى بعد !! (ويطلق الرصاص على العينين الخضراوين أمامه .. ويغوص راس التمســاح فى النهر .. والساحر يقفز وراء الشجرة المقدسة ويختفى .. وجونز قد تمدد ووجهه الى الأرض ، وذراعاه ممدودتان .. ويرتعش من الخوف كلمـــا ترددت دقات الطبول فى قوة وانتقام) .

المنظر الثامن

الفجر . نفس المنظر الثانى .. خط يفصل بين الغابة والوادى .. جذوع الاشجار القريبة تبدو باهتة .. ولكن الغابة وراءها ما تزال ظلا قاتما .. وتبدو الطبول كأنها فى نفس المكان ، عالية ، لها ذبذبات مستمرة . وليم يدخل من اليسار وراءه بعض جنوده ، ومعه سميزرز . وليم بدين .. له وجه كالقرد .. انه من سلالة الافريقيين البدائيين .. وقد ارتدى جلد أسد .. والتف حول خصره حزام به « خرطوشة » ومسدس .. وجنوده عراة بدرجات مختلفة .. وكلهم يلبسون قبعات عريضة من سعف النخيل .. وكل منهم يحمل بندقيــة .. وسميزرز يبدو كما كان فى المنظر الأول .. وواضح أن أحد الجنــود من الذين يقتفون الأثر ، وهو لذلك يفحـص الأرض بعينيــه باهتمام شديد ، ويشير الى البقعة حيث دخل جونز الى الغابة .. ويتجه ليم وسميزرز الى حيث أشار .

سميزرز : (بعد أن ألقى نظرة ، يشيح بوجهه باحتقار) هذا هو الطريق الصحيح الذى سار فيــه ، انه على مسافة أميال ويبلغ الشاطىء . اللعنة عليه ! ألم أقل لك انك لن تعثر عليه .. لقد أضعت الليل كله وأنت تدق هذه الطبول وتلقى بالسحر والتعاويذ فى كل مكان !

ليم : (بخشونة) سنعثر عليــــه ! (ويشير الى جنوده الذين جلسوا القرفصاء فى شبه دائرة) .

سميزرز : (وقد نفد صبره) حسنا ! اذا كنتم ستذهبون الى الغابة للبحث عنه فأى شىء تنتظرون اذن ؟! .

ليم : (جامدا) سنأتى به ! .

سميزرز : (وقد ابتعد عنه باحتقار) انه أحسن منكم جميعـــا .. اننى أمقته .. ولكننى أفضله عليكم ! (ويجىء صوت من الغابة .. والجنود ينهضون واقفين وقد صوبوا بنادقهم . ويبقى ليم جالسا دون أن يبدو على وجهه أى تعبير .. ولكنه يستمع باهتمام .. ويشـــير بيده بسرعة .. ويسرع أتباعه بالزحف الى الغابة .. ويتناثرون فيدخل كل منهم من مكان مختلف) .

سميزرز : لعلك تظن أنه هو .. أرجو ذلك !

ليم : (بهدوء) سيكون فى قبضتنا !!

سميزرز : أغبياء ! (وبعد لحظة تفكير وفى دهشة) ربما حدث ذلك ! فاذا ضل طريقه فى هــذه الغابة فسيلف فى دائرة دون أن يعرف أولها من آخرها .

ليم : (دون أن يبدوعليه أى شىء) اسكت !! (أصوات البنادق وهى تحتك بأغصــان الأشجار .. وهمهمات وحشــية .. وفجأة يتوقف دق الطبول .. ويتطلع ليم الى الرجل الأبيض بشىء من الارتياح) انه فى يدنا ميت !

سميزرز : (بسخرية) طبعا انت تعرف أنه هو ، وأنك ستقتله !

ليم : لقد حصل رجالى على « خراطيش » فضية .. ان خراطيش الرصاص لا تقتله .. ان لها سحرا قويا .. لقد حصلت على المـــال .. وصنعت « خراطيش » فضية ، ووضعت فيها سحرا أيضا .

سميزرز : (مندهشا) اذن هذا هو الذى كنت تعمله طول الليل ؟!

أليس كذلك ؟ كنت تخاف أن تطارده قبل أن تصب هذه « الخراطيش » الفضية !

ليم : (وهو يقرر حقيقة في بساطة) نعم . ان « الخرطوشة » الفضية فيها سحر قوى ، أما « الخرطوشة » الرصاص فلا فائدة منها .

سميزرز : (وهو يضرب رجله بيده ساخرا) انك لن تفعل شيئا .. لن تصيبه .. لن تعثر عليه لا أنت ولا رجالك !

ليم : (في هدوء) انهم سيأتون به حالا (ويخرج الجنود من الغابة يحملون جسم جونز .. انه ميت .. يحملونه الى ليم الذى يفحص جسمه بارتياح شديد .. وينحنى سميزرز .. وفى لهجة من الفزع) حسنا .. لقد فعلوا من أجلك الكثير يا جونز .. أنت الآن ميت كسمكة ! (ساخرا) أين عظمتك ؟! وأين قوتك يا صاحب الجلالة ؟! وأين « خراطيشك » الفضية ؟! .

« ستار »

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٩٥٩

هــذا الكتــاب

لخص « يوجين أونيل » حياته كلها ، وحياة الفنانين الكبار فى كلمات قليلة عندما قال : « لقد أحببت وعربدت ، وكسبت وخسرت ، وغنيت وبكيت . »

فقد ولد هذا الكاتب الكبير على خشبة المسرح ، وكان المسرح على أيامه متحركا يركب العربات وتجره الخيول . وكان الطفل يجرى وراء أبيه وأمه من بلد الى بلد . وكان أبوه يقطع أمريكا من الشرق الى الغــرب فى أدوار المسرحيــات الكبرى لشكسبير . وفجأة عدل الأب عن المسرح التقليدى وظهــر فى المسرحيــات الرومانتيكية . هــكذا انتقل دون مقدمات .. وقــد ورث الابن عن أبيه هذه الصنعة . كان ينتقل من بلد الى بلد . ومن قارة الى قارة . ومن مهنة الى مهنة . كان الابن قد عاهد نفسه على أن يجعل حياته كلها مسرحا ، وان يجعل هذا المسرح متحركا له عجلات ، أو يمشى على المسرح .

والحقيقة أن « يوجين أونيل » كان فى حالة قلق شديد . فلم يكن يعرف ماذا يريد ، ولا ماذا يراد منه ، وله ، وبه . انه هارب من أن يسأل نفسه : وماذا بعد ؟ .

من مقدمة انيس

كتاب لا بد أن يقرأ

